

## مَقَالَتُهُ

الحمد لله الذي أجرى بلطفه ورحمته السحاب، فسقي العباد ورّوي الأودية والهضاب، وأنبت به الحقائق والأعنان، سبحانه يبتلي ليدعى فإذا دُعي أجاب، عصاه آدم بالذنب فتاب عليه وقبل منه المتاب، ورفع إدريس بلطفه إلى أكرم جناب، وأرسل الطوفان وكان شأن السفينة من العُجاب، ونجّى الخليل من نار شديدة الالتهاب، وكانت سلامة يوسف عبرة أولى الألباب، نزل البلاء بأيوب ففارق أهله والأصحاب، عضه البلاء إلى أن كَلَّ منه الغفر والنباب، فنادي ربه مستغيثاً به فجاء الجواب ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ (ص: ٤٢).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعالت عظمته، وجلت حكمته، وفاضت على عباده رحمته، وخضعت لأمره خليقته، جعل العزة والشرف في الذل إليه، والكفاية واليقين في التوكل عليه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، وأسوة للعابدين، وهداية للحائرين، فآتم الله به النعمة وأكمل به الدين، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتبعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

ثم أما بعد،

فاعلم أيها الحبيب بأن الله جلّ وعلا أرحم بك من نفسك وأرأف بك من أمك، ثم إن دوام الحال من المحال، والأيام دُول، والغيب مستور، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً، وإن مع العسر يسراً، وفي نهاية كل ليل غاسق فجر صادق وبعد الشدة فرج، وبعد الألم راحة وسكون، ومع البلية عطية، ومع لمحن منح، فارض بالله رباً يرّض بك عبداً.

من عظم وقار الله في نفسه أن يعصيه رَقَره الله في قلوب الخلق أن يذلوه، فلا تبشس بواقع أليم، فربك بالمؤمنين رؤوف رحيم، ولا تضجر بغربة الدين، واستأنس بالثقة واليقين، ولا تسخط ببلاء أو مرض فقد يكون فيه رفعة شأنك، ورحمة ربك، ومغفرة ذنبك، وبلوغك إلى درجات الجنة العلى.

ولكن أخرج قلبك من زحمة المنكرات، ودخن الذنوب والسيئات، وطيبه بالآيات والعظات، وتألق في رياض المتجهدين وتألق بصبغة العبودية لرب العالمين، هيا انطلق إلى فضاء الطاعة فسوف تجد هواء نظيفاً، وهدوءاً لقلبك، وسكينة لروحك، سوف تجد نوراً مبيناً، ومقاماً كريماً، هيا حرك مطايا سيرك إلى الله، وأزعج قلبك من غفلته وأذقه حلاوة الإيثار ولذة القرب من الرحمن، وتقرب إلى الله شبراً يتقرب الله إليك ذراعاً وتقرب إليه ذراعاً يتقرب إليك باعاً.

يقول ابن القيم رحمه الله: ليس العجب من مملوك يتذلل لله يتعبد له، ولا يمل من خدمته مع حاجته إليه وفقره إليه، إنما العجب من مالك يتحجب إلى مملوك بصنوف إنعامه، ويتودد إليه بأنواع إحسانه مع غناه عنه.

كفى بك عزاً أنك له عبد وكفى بك فخراً أنه لك رب<sup>(١)</sup>

ألا فاعبد الله متقرباً إليه متحبيباً إليه؛ ليسبغ عليك فضله، ويسبل عليك برّه، ويُسدل عليك نعيم الأمن والأمان، واشكر نعمه يزدك منها، شكر النعم يدفع النقم، وترك الذنوب حياة القلوب، فالداء هو الذنوب والدواء تركها وهجرها والتوبة إلى الله منها، ومن عرف دواء دائه ولم يتداو به فلا يبرئ إلا نفسه.

(١) «كتاب الفوائد» (ص: ٥٣).

عباد الله... ربنا رؤوف رحيم، غفور شكور، لا يهمل أوليائه ولا يغفل عن أعدائه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٣٢).

﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ (الزمر: ٨٠)  
وهذه وثيقة حب نسجل بها حبنا لربنا برضائنا بقضائه وقدره فهو أرحم بنا من أنفسنا، نتذكر من خلال هذه السطور لطف ربنا بنا، ورحمته لنا، وإكرامه لنا، وحفظه، لأوليائه، وقربه ممن دعاه، ونصره لمن تولاه. وكفايته لمن توكل عليه، ورجاه، وأنه تعالى يريد بنا اليسر ويدلنا على أسباب سعادتنا في الدنيا والآخرة، نطالع ذلك في مشاهد حية وقصص واقعية، وعجائب مدهشة تنطق بعظيم لطف الله وتغرس في النفوس الثقة واليقين والصبر والثبات وانتظار الفرج، وأنه لا يأس ولا قنوط فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

فهيا إخوتي نداوي الجروح والقروح، ونسقي ظمأ القلب والروح، ونستل من القلوب المنكوبة حزنها وقلقها ويأسها وعجزها، ونطلعها على صبح الفرج، وفجر الأمل ونور اليقين، وإشراق الحياة، وحلاوة العاقبة وعظمة الثواب، فتعالوا نتأمل هذه المعاني ونعيش معها بأرواحنا وقلوبنا لعلها تحدد النفوس إلى جنة الملك القدوس، وتلهم العقول والأفئدة الفرار من نار الله الموقدة، والاستزادة من تحصيل الحسنات والأجور ليوم النشور، وليست الدنيا إلا دار بلاء، وفي الآخرة يكون الثواب والجزاء فاعقل شأنك وقوم حياتك، واضبط سيرك على كتاب ربك وسنة نبيه، واصبر تصل، واثبت تفز وتسعد.

هذا وقد ذكرت في أول الكتاب مقدمة مهمة بعنوان ثوابت إيمانية ثم أردفت بشرح معنى اسم الله اللطيف ثم بدأت في المقصود وهو ذكر القصص والمواقف التي تدلل على عظيم لطف الله سبحانه وبدأتها بحياة الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه.

هذا وأستغفر الله ربي من تقصيري وأعوذ به أن يكون حظي من ديني لفظي، أو أن أريد الدنيا بعمل، اللهم إليك وحدك أتوجه، وعليك وحدك أتوكل، فارزقني وإخواني الإخلاص في القول والعمل.

وأسألك ربي وسيدي ومولاي وإلهي ألا تحرمني وإخواني من النظر إلى وجهك الكريم في جنات النعيم، إنك أنت السميع العليم.  
والحمد لله رب العالمين وصلي الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

كتبه

سبر مخطوطة

غفر الله لوالديه وللمسلمين أجمعين

٢٣ ربيع أول ١٤٢٧ هـ

١١ أبريل ٢٠٠٧ م